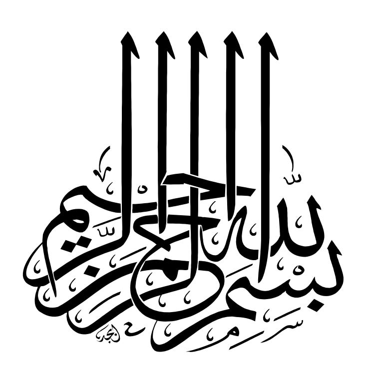
عَقِيدَةُ الإِمَامِ

أَبِي عَبْدِ اللهِ مُحَمَّدِ بْنِ عُمَر الهَوَّارِيِّ الوَهْرَانِي

(٧٥١ ـ ٨٤٣هـ)

بعناية

نزار حمّادي


بسم الله الرحمن الرحيم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين، ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ۝٨ رَبَّنَآ إِنَّكَ جَامِعُ ٱلنَّاسِ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ﴾ [آل عمران: ٨ ـ ٩].

وبعد؛ وبعد، فإن العلوم الإسلامية وإن تنوعت موضوعاتها وتعددت مسائلها وأبحاثها فإن مرجعها بالأساس إلى القرآن العظيم وسُّنة النبيِّ الطاهر الكريم، وقد اتفقت كلمة العلماء المعتبرين على أنّ أولى العلوم بالتقديم، وأحقها بالتعليم هو علم أصول الدين، إذ به تتقرَّرُ علومُ الشرع لأنه أساسُها، فالبناءُ على غيره بناءٌ على غير أساس؛ لأنه إذا لم يُعرَف أنّ للعالَم صانعًا عالِمًا قديرًا مُريدًا مُرسِلاً للرسل، فكيف يُعرَف الوَحيُ؟! وكيف يُعرَف الحديثُ؟! فلا تفسير ولا فِقْهَ.



ومن هنا تأكدت عناية العلماء على مرّ القرون والعصور بعلم أصول الدين، فصنفوا فيه المطولات المشتملة على المبادئ والغايات، والمختصرات المقتصرة على بيان ما يجب في حقه تعالى وما يستحيل وما يجوز، وبيان مثل ذلك في حقّ رسله الكرام عليهم أفضل التحية وأزكى الصلوات.

وقرروا أدلة هذه المطالب الأساسية من القرآن العظيم، وأكدوها بالعقل السليم، وكل ذلك تقوية لأصل الدين، ودفعا لما عسى أن يعترضها من شبهات الزائغين.

وهذه هي المطالب الأصلية في بابي الإلهيات والنبوات مشفوعة بأدلتها القرآنية:

- **الوُجُودُ:** ﴿أَفِي ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾. [إبراهيم: ١٠]
- **القِدَمُ:** ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ﴾ [الحديد: ٣].
- **البَقَاءُ:** ﴿وَٱلْآخِرُ﴾ [الحديد: ٣].
- **المُـخَالَفَةُ لِلْحَوَادِثِ:** ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١].

❖ القيامُ بالنَّفس: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ﴾ [فاطر: ١٥].

❖ الوَحْدَانِيَّةُ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١].

❖ العِلْمُ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌۢ﴾ [الأنفال: ٧٥] ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [الملك: ١٤].

❖ الإِرَادَةُ: ﴿يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ﴾ [القصص: ٦٨]، ﴿فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ [هود: ١٠٧].

❖ القُدْرَةُ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: ٢٠].

❖ الحياةُ: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَىِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ﴾ [الفرقان: ٥٨].

❖ السَّمْعُ وَالبَصَرُ: ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، ﴿إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾ [طه: ٤٦].

❖ الكَلَامُ: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾ [النساء: ١٦٤]. ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَـٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ﴾ [الأعراف: ١٤٣]:

❖ الجائز في حقه تعالى: فِعْلُ الممكنات وتَرْكُها: ﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا ٱلنَّاسُ وَيَأْتِ بِـَٔاخَرِينَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ قَدِيرًا﴾.
[النساء: ١٣٣]

❖ **الأَمانَةُ:** ﴿إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ﴾ [القصص: ٢٦]

❖ **الصِّدْقُ:** ﴿وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ أُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ﴾ [الزمر: ٣٣].

❖ **التَّبْلِيغُ:** ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى﴾ [المائدة: ٣]. ﴿أُبَلِّغُكُمْ رِسَـٰلَـٰتِ رَبِّى﴾ [الأعراف: ٦٢].

❖ **الفَطَانَةُ:** ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَـٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ﴾. [الأنعام: ٨٣]

❖ **جواز الأَعْرَاضِ:** ﴿مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ ۖ كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ﴾. [المائدة: ٧٥]

ثم توجهت هِمَمُ العلماء الربانِيِّين لاستخراج الأدلة العقلية على هذه المطالب الإيمانية، فصنفوا من أجل ذلك الكثير من المطولات، ثم تُوِّجَت بمختصرات مركَّزة لتكون كالتذكرة للمنتهين وكالقواعد للمبتدئين ليتوجهوا من خلالها لتحصيل تفاصيها واستخراج مضامينها.

وقد حازت المتون التوحيدية للإمام أبي عبد الله محمد بن

يوسف السنوسي (ت٨٩٥هـ) قصب السبق في هذا المضمار، فصارت محطّ أنظار المتكلمين، ومبدأ الطلبة والسالكين لتحصيل علم أصول الدين، وعند التأمل والتحقيق نجد أنه قد اقتدى في ذلك بمشايخه الذين صنفوا المختصرات الإيمانية بأدلتها البرهانية، وأبرز ذلك «**عَقِيدَةُ أَهْلِ التَّوْحِيدِ المُخْرِجَةُ مِنْ ظُلْمَةِ التَّقْلِيدِ**»[1] للإِمَام أبي عَبدِ الله مُحمّدِ بنِ أحمدَ بنِ مُحمدِ بنِ مَرْزوق الحفيد (ت ٨٤٢هـ)، وأيضا هذه العقيدة المباركة التي وفقنا الله تعالى للوقوف عليها وتحقيقها للشيخ الإمام العارف الولي الصالح أبي عبد الله محمد بن عمر الهواري رحمه الله تعالى.

توجد هذه العقيدة بمكتبة آل النيفر بتونس العاصمة ضمن مجموع، وهي غير مفهرسة، فاجتهدت بعون الله تعالى في كتابتها وتصحيحها، وقدمت لها بترجمة للإمام الهواري اختصرتها من كتاب «**روضة النسرين في التعريف بالأشياخ الأربعة المتأخرين**» لابن صعد التلمساني الذي صدره بترجمة صاحب هذه العقيدة المباركة رحمه الله تعالى.

---

(١) وقد حققها صديقنا العزيز الشيخ «**حَسَنُ بْنُ عَبْدِ الرَّحمَنِ الحُسَيْن**»، وأذن لنا بطباعتها فنشرت في تونس.

ترجمة الشيخ الإمام
أبي عبد الله محمد بن عمر الهواري
(٧٥١ ـ ٨٤٣هـ)[1]

قال الشيخ العلامة محمد بن أبي الفضل سعيد بن صعد التلمساني المالكي الأشعري (ت ٩٠١هـ) في كتابه النفيس «**روضة النسرين في التعريف بالأشياخ الأربعة المتأخرين**» في التعريف بالإمام محمد بن عمر الهواري ما ملخصه:

هو شيخ الشيوخ، المشهود له بالتثبت والرسوخ، سيدي محمد بن عمر بن عثمان بن سبع بن عياشة بن عكاشة بن سيد الناس بن خير الناس الغياري المغراوي المعروف بالهواري رحمه الله تعالى ورضي عنه ونفعنا ببركته.

(١) اعتمدت على مصورة من النسخة المحفوظة بالمكتبة الوطنية الجزائرية، رقم ٦٥٩٦. ولقد لخص ابن مريم في البستان (ص٢٢٨ ـ ٢٣٦ المطبعة الثعالبية ١٩٠٨م) نبذة مما ورد في تلك الترجمة الحافلة.

هكذا وجدت نسبه بخط وارث مقامه المختص بأسراره وعلومه سيدي إبراهيم التازي.

كان هذا الولي سيدي محمد الهواري رحمه الله آية من آيات الله في ذلك الزمان، وشيخ مشايخه في المقامات والعرفان.

سبقت له من الله العناية، فجمع له بين العلم والولاية، ورقاه في درجات التقوى إلى الغاية.

حفظ القرآن وهو دون العشر من السنين، ثم أقبل على طلب العلم والعبادة، وكان مبدأ قراءته بمدينة بجاية على أعلامها الجلة منهم الإمامين عبد الرحمن الوغليسي(١) وأحمد بن إدريس(٢)، فأقام بها مدة أعوام مواصلا الجدّ والاجتهاد في قراءة العلوم المنقول منها والمفهوم، واستظهر هنالك حفظ كثير من الكتب قلّ

(١) هو الشيخ الإمام: أبو زيد عبد الرحمن بن أحمد الوغليسي البجائي، عالمها ومفتيها، الفقيه العالم الصالح. (ت ٧٨٦هـ) له المقدمة المشهورة التي من شراحها الشيخ أحمد زروق الفاسي.

(٢) هو الشيخ الإمام: أحمد بن إدريس البجائي (ت٧٦٠هـ) كبير علماء بجاية في وقته. كان ورعاً زاهداً جليلاً إماماً علامة بارعاً. له تعليق على البيوع من مختصر ابن الحاجب الفقهي، أخذ عنه يحيى الرهوني وابن خلدون، ونقل عنه ابن عرفة في مختصره الفقهي وسماه الفقيه الصالح.



أن يحفظها غيره.

ثم لما أخذ في درس «**المدونة**» البراذعية وبلغ فيها إلى كتاب الصيد سافر مغربًا لمدينة فاس، فأخذ بها عن الشيخ الإمام حافظ المغرب موسى العبدوسي، وعن زعيم الفقهاء والمتكلمين أحمد القباب، فأقام للقراءة عليهما جملة من أعوام معروفًا عن أهلها بالعلم والديانة، عظيم القدر معروف المكانة.

وبمدينة فاس كمّل حفظ المدونة وهو حينئذ ابن خمس وعشرين سنة، وذلك سنة ست وسبعين وسبعمائة (٧٧٦هـ)، وكان طلبة فاس يقرؤون عليه القرآن وكتب العربية والفقه ويتحدثون أنهم ما رأوا أبرك من قراءته ولا أفيد من تعليمه.

وفي هذه السنة نظم كتابه المسمى بـ«**السهو**»[(١)] في أحكام الطهارة والصلاة، وهو من أجمع الكتب لأحكام مسائل الطهارة والصلاة وأعظمها فائدة وأعمها بركة.

ولما حصَّل من القراءة ما يجب تحصيله أراد أن يكمل من

(١) ويسمى أيضا بالمؤانس، وهو نظم في ٤٥٥ بيتًا في أحكام الطهارة والصلاة، توجد منه نسخة بالمكتبة الوطنية بتونس ضمن مجموع رقم ٩٤٠٠)

الفرائض الخمس ما يجب عليه تكميله، فأعمل الرحلة مُشرِّقًا لأداء فريضة حجة الإسلام، ولقاء من هنالك من أكابر العلماء الأعلام، فذكر أنه دخل مصر وأقام بها مدة للقراءة والإقراء، ثم سافر منها للحرم الشريف فأقام مجاورا بالحرمين الشريفين مكة والمدينة عدم أعوام، ثم سافر لبيت المقدس ليكمل له فضل الصلاة في المساجد الثلاثة وزيارة من به من المشاهد المعظمة.

وبعد رجوعه من البلاد المشرقية نزل مدينة وهران، فاستقر بها قراره، واطمأنت بها داره، وجلس بها لنشر العلم وبثّه والدعاء إلى الله تعالى، فانتفع الخلق على يديه، وظهرت عليهم بركته.

أشار في منظوماته إلى أنه كان يحفظ الشاطبية والألفية وكثيرا من الكراريس المشتملة على علوم القرآن رسما وأداءً ونحوًا ولغةً، وذكر في كثير من كلامه معرفته بكتاب ابن عطية في التفسير وقيامه على التفسير الكبير للإمام فخر الدين بن الخطيب.

وأما علم الفقه فكان مشهورا بحفظه معروفًا بالقيام على غوامضه، مقبولا قوله في فتاويه، متبحرا في مذهب مالك، يحفظ منه ما لم يحفظه أحدٌ من فقهاء عصره، عارفا بالخلافيات، ذكر



معرفته لعلم الخلاف في كتابه «**التبيان**»، وذكر في كثير من كلامه أنه كان يحفظ رسالة ابن أبي زيد وشرحها للقاضي عبد الوهاب.

ومن محفوظاته المدونة المسماة بالتهذيب للبراذعي، وكان إكماله لحفظها سنة ست وسبعين وسبع مائة (٧٧٦هـ) وهو ابن خمس وعشرين سنة، وكان يحفظ كتاب التلقين للقاضي عبد الوهاب، وكتاب جامع الأمهات لابن الحاجب، ذاكرًا شرح ابن عبد السلام قائما على فرائده.

وكان مع هذه الدرجة العظيمة التي حصلت له في سائر العلوم مداوما على طلب العلم، مكثرا من تعليمه وتعلّمه، معرضا عن النظر إلى علمه أو عمله، ومنظوماته مفصحة بذلك وأنه كان يحتقر عِلْمَه ولا يرضى بعَمَلِه.

ولم يكن في زمانه أحرص منه على العبادة ومجاهدة الصيام والقيام، صابرًا محتسبا في دعوة الخلق إلى الله المعبود بحقٍّ، على سَنَن الزهادة من الفقهاء سالكا سبيل المتعبدين من الصلحاء.

وكانت مجالسه مجالس رحمة، وخواص أصحابه كلهم أولياء، فتارة يخوّف الناس بذكر النار والأغلال وأنواع العقوبات

التي أعدها الله للعصاة فتكاد قلوب الحاضرين تنفطر وتنشق من الخوف ويتسارع الناس إلى الإقلاع والتوبة، وتارة ينبسط لهم بذكر سعة رحمة الله ويُرَجِّيهم في كريم غفوه وجميل إحسانه وطويل غفرانه، ويمنيهم بما عنده من كثرة الثواب.

ولما علت سِنُّه وتقارب أجله كانت مجالسه في التبشير وفوائد التيسير، وذكر ما عند مولانا سبحانه من سعة الغفران والتجاوز عن السيئات، وأن الله لا يضيع أجر المحسنين لأنه لم يبق عند اللقاء إلا الطمع في رحمته والرغبة فيما عنده.

وكانت القلوب تنفعل كثيرا لكلامه، وترقّ لموعظته، وتتأثر لتذكيره، وكان إذا حضر مجلسه الأغنياء وأرباب الدنيا دعاهم إلى الله بطريق الخوف وذكّرهم بآيات انتقامه وأليم عذابه، وإذا حضر مجلسه الفقراء والمساكين دعاهم إلى الله بطريق الصبر وذكّرهم بآيات الرجاء وحسن الظن بالله، وإذا حضر أهل الصحة والعافية من التجار ذكرهم بطريق الشكر وحضهم على إخراج الزكاة وأنها مطهرة للمال، ثم يندُبهُم لترك المعاملة مع من غلب عليه الحرام ويبصرهم بفائدة طلب الحلال.

فينصرف أهل مجلسه وقد أحرزوا من الخيرات آمالا، وحصلوا من مسائل التكليف وأسرار الأعمال أقوالا صالحة وأعمالا.

وكان مع ذلك لا يخلي مجالسه من مفاوضة علمية، ومحاضرة أدبية، ومذاكرة صوفية، فربما كانت تعرض لطلبة العلم من أهل وهران وتلمسان وغيرهما من سائر البلدان كثير من المسائل العويصة فيستفتون فيها شيوخ الوقت فلا يجدون عندهم شفاء غليلهم، فيقصدون الشيخ محمد الهواري ويحضرون في جملة من حضره من الناس وقد أضمروا تلك المسائل العويصة على اختلاف أفانينها، فإذا أخذ الشيخ على عادته في الكلام خرج إلى تلك المسائل وأسرع الجواب عنها وأوضح مشكلها مفرغة في قالب الوعظ فيُقضَى منه العجبُ ويبهت الحاضرون لسرعة جوابه وحشده ما في المسائل من الأقوال على أكمل ترتيب ويستغربون لطافة تخلّصه من المسائل إلى ما هو بسبيله من الوعظ.

كان ممن أيده الله بحفظ ما قرأه وحصَّله، فكان لا يفتقر في مجالسه العلمية وتواليفه في الفقه والمناسك والأداب إلى مطالعة كتاب ولا مراجعة شيء؛ لإحاطته بجميع العلوم وتحصيله منها

المنقول والمفهوم، وما كان يطالع في ذلك سوى فكره السليم ونظره المسدد القويم.

كان الشيخ محمد الهواري رحمه الله ممن أخذ نفسه بطلب الحلال، وكان لا يتقوت إلا بما علم حليته على أتم وجوه الكمال، فإن طلب الحلال هو أصل هذه الطريقة، وعليه مدار علماء الشريعة والحقيقة، وهو من فرائض الدين وأصول الإسلام.

كان رحمه الله من أئمة علم التوحيد، سالكا فيه الطريق السديد، وزعماء التصوف وأرباب القلوب يرون أن الوصول إلى حقائق الأعمال وبلوغ من بلغ إلى مقام المراقبة من أفاضل الرجال إنما هو بمعرفة علم التوحيد، وكان من محفوظات الشيخ محمد الهواري في هذا الفن كتاب «**الإرشاد في علوم الاعتقاد**» تأليف إمام الحرمين أبي المعالي، وكان من أهل المعرفة التامة به، فإذا قرئ عليه شيء منه ينطلق لسانه فيه بما لم يُسبَق إليه، وبما لو سمعه مؤلفه لقال له: أنت العالم بمعاني هذا الكتاب، المحكِمُ لأصول مبانيه على وجه الحق والصواب.

كانت وفاته صبيحة يوم السبت الثاني من شهر ربيع الثاني

من سنة ثلاث وأربعين وثماني مائة (٨٤٣هـ) رحمه الله تعالى، فكانت مدة عمره اثنين وتسعين سنة[١].

للشيخ محمد الهواري رحمه الله تعالى جملة من المؤلفات في شكل أنظام بلسان العوام، منها «التنبيه»، و «السهو» المسمى أيضا بـ«المونس»، و«التبيان»، و«تبصرة السائل». وهذه العقيدة المباركة التي وفقنا الله عزّ وجل لتحقيقها ونشرها.

وفيها يلي نماذج من المخطوط الوحيد المعتمد الموجود في مكتبة آل النيفر:

(١) تقع ترجمة الشيخ الهواري بين الصفحة (٣) والصفحة (١٩٠) من مخطوط روضة النسرين.

بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على سيدنا ومولانا
قال الشيخ الفقيه الامام ابو عبد الله محمد
الهواري نفعنا الله به
والصلاة والسلام على رسول الله
انه يجب على المكلف شرعا من كل شيء اربعة ان الله موجود
ودليل وجوده حدوث اجرامنا بدليل حدوث اعراضنا
التي تعاقب تغيرها من حركات وسكون وغيرهما بصنعنا
ومنع

الصفحة الأولى من المخطوط

كالقروح ونحوها دليله مبينا ظاهرة ووقوعها بهم اما للتعظيم
اجورهم او للتشريع او للتصبر ولانها لا تحط منهم وافعالهم
كلها دائرة بين الواجب والمندوب والمباح لا يقع منهم
الا على جهة تصيره منه وبيانا والمحرم والمكروه لا يقع منهم
لعصمتهم وللاقتداء بهم في اقوالهم وافعالهم وسكوتهم
وجميع احوالهم وكل ما اوهم في حقهم او في حق الملائكة
نقصا من الكتاب والسنة يجب تاويله وانه مستعمل
الظاهر فقطعا كما في حق الله تعالى وافضلهم سيدنا ونبينا
ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم وآله وازواجه امهات
المومنين واصحابه الطيبين الطاهرين صلاة عدد ما في
علم الله وعدد ما كان وما هو كائن الى يوم الدين ولا
حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم

الصفحة الأخيرة من المخطوط

عَقِيدَةُ الإِمَامِ

أَبِي عَبْدِ اللهِ مُحَمَّدِ بْنِ عُمَر الهَوَّارِيِّ الوَهْرَانِي

(٧٥١ ـ ٨٤٣هـ)

بعناية

نزار حمّادي



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وصَلَّى اللهُ عَلَى سَيِّدِنَا ومَوْلَانَا مُحَمَّدٍ

اعْلَمْ أَنَّهُ يَجِبُ عَلَى المُكَلَّفِ شَرْعاً قَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ أَنْ يَعْرِفَ أَنَّ اللهَ مَوْجُودٌ.

وَدَلِيلُ وُجُودِهِ: حُدُوثُ أَجْرَامِنَا؛ بِدَلِيلِ حُدُوثِ أَعْرَاضِنَا الَّتِي يُعَايَنُ تَغَيُّرُهَا مِنْ حَرَكَاتٍ وَسُكُونٍ وَغَيْرِهِمَا، فَصُنْعُنَا وَصُنْعُ سَائِرِ العَالَمِ دَلِيلٌ عَلَى وُجُودِهِ؛ لِأَنَّ الصُّنْعَةَ لَابُدَّ لَهَا مِنْ صَانِعٍ.

وَالدَّلِيلُ عَلَى اتِّصَافِهِ بِالقُدْرَةِ: صُنْعُنَا؛ لِأَنَّهَا لَوِ انْتَفَتْ لَمَا صَنَعَنَا لِأَنَّ العَاجِزَ لَا يَخْلُقُ شَيْئاً.

وَالدَّلِيلُ عَلَى اتِّصَافِهِ بِالإِرَادَةِ: تَخْصِيصُنَا بِالوُجُودِ وَغَيْرِهِ؛ لِأَنَّ المُكْرَهَ مَقْهُورٌ، وَكُلُّ مَقْهُورٍ حَادِثٌ، وَالحَادِثُ لَا يَخْلُقُ

شَيْئاً بِدَلِيلِ عَجْزِ الخَلْقِ أَجْمَعِينَ عَلَى خَلْقِ نَامُوسَةٍ فَأَدْنَى جُمْلَةً وَتَفْصِيلاً.

وَالدَّلِيلُ عَلَى اتِّصَافِهِ بِالعِلْمِ: صُنْعُنَا؛ لِأَنَّ الجَاهِلَ لَا يَصْنَعُ شَيْئاً وَلَا يُتْقِنُهُ وَلَا يَقْصِدُهُ.

وَالدَّلِيلُ عَلَى اتِّصَافِهِ بِالحَيَاةِ: اتِّصَافُهُ بِالقُدْرَةِ وَالإِرَادَةِ وَالعِلْمِ؛ لِأَنَّ المَيِّتَ لَا يَتَّصِفُ بِهَا، وَإِذَا لَمْ يَتَّصِفْ بِهَا لَمْ يَصْنَعْنَا.

وَالدَّلِيلُ عَلَى اتِّصَافِهِ بِالسَّمْعِ وَالبَصَرِ وَالكَلَامِ: الكِتَابُ، وَالسُّنَّةُ، وَإِجْمَاعُ الأَنْبِيَاءِ وَالمُسْلِمِينَ عَلَى الجُمْلَةِ أَنَّ اللهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ مُتَكَلِّمٌ.

فَهَذِهِ صِفَاتُ الوُجُودِ، وَهِيَ صِفَاتُ المَعَانِي، وَهِيَ عِبَارَةٌ عَنْ صِفَاتٍ مَوْجُودَةٍ قَائِمَةٍ بِذَاتِهِ تَعَالَى، مُوجِبَةٍ لِذَاتِهِ حُكْماً وَهُوَ كَوْنُهُ قَادِراً مُرِيداً عَالِماً حَيّاً سَمِيعاً بَصِيراً مُتَكَلِّماً، وَهَذِهِ الأَحْكَامُ هِيَ الصِّفَاتُ المَعْنَوِيَّةُ، وَهِيَ عِبَارَةٌ عَنْ صِفَاتٍ ثَابِتَةٍ

قَائِمَةٍ بِذَاتِهِ تَعَالَى، لَا تُوصَفُ بِالوُجُودِ وَلَا بِالعَدَمِ، مُلَازِمَةٌ لِصِفَاتِ المَعَانِي.

وَالدَّلِيلُ عَلَى قِدَمِ ذَاتِهِ وَبَقَائِهَا وَقِدَمِ صِفَاتِهِ كُلِّهَا وَبَقَائِهَا أَنَّهُ لَوْ سَبِقَهَا عَدَمٌ أَوْ لَحِقَهَا عَدَمٌ لَكَانَ مُحْتَاجاً إِلَى الفَاعِلِ كَنَحْنُ، فَيَجِبُ لَهُ مَا وَجَبَ لَنَا، فَيَكُونُ وُجُودُهُ إِذاً مُسْتَحِيلًا؛ لِلُزُومِ الدَّوْرِ أَوِ التَّسَلْسُلِ المُسْتَحِيلَيْنِ.

وَالدَّلِيلُ عَلَى مُخَالَفَةِ ذَاتِهِ وَجَمِيعِ صِفَاتِهِ لَنَا أَنَّهُ لَوْ مَاثَلَنَا لَكَانَ مَصْنُوعاً كَنَحْنُ.

وَالدَّلِيلُ عَلَى أَنَّ ذَاتَهُ مَوْصُوفٌ بِصِفَاتٍ وَكَمَالَاتٍ لَا تُحْصَى غِنَاهُ عَنِ المَحَلِّ وَالفَاعِلِ؛ إِذْ لَوِ احْتَاجَ إِلَى المَحَلِّ لَكَانَ صِفَةً لِتِلْكَ الذَّاتِ، فَيَلْزَمُ أَنْ لَا يَتَّصِفَ بِصِفَاتِ الوُجُودِ وَلَوَازِمِهَا؛ إِذْ لَوْ قَبِلَتِ الصِّفَاتُ صِفَةً وُجُودِيَّةً لَزِمَ أَنْ لَا تَعْرَى عَنْهَا كَالذَّوَاتِ، إِذِ القَبُولُ نَفْسِيٌّ لَا يَتَخَلَّفُ، ثُمَّ نَنْقُلُ الكَلَامَ إِلَى هَذِهِ الصِّفَاتِ القَائِمَةِ بِالصِّفَاتِ فَيَلْزَمُ أَنْ تَكُونَ هَذِهِ الصِّفَاتُ الثَّانِيَةُ قَابِلَةٌ لِلصِّفَةِ كَالأُولَى، ثُمَّ نَنْقُلُ الكَلَامَ إِلَى هَذِهِ

الصِّفَةِ، وَيَتَسَلْسَلُ، فَتَنْتَفِي حِينَئِذٍ القُدْرَةُ وَالإِرَادَةُ وَسَائِرُ الصِّفَاتِ، وَيَنْتَفِي سَائِرُ العَالَمِ مِنْ أَرَضِينَ وَسَمَاوَاتٍ وَغَيْرِهِمَا.

وَلَوْ كَانَ مُحْتَاجاً إِلَى الفَاعِلِ لَكَانَ مَصْنُوعاً.

وَالدَّلِيلُ عَلَى وَحْدَانِيَّةِ ذَاتِهِ وَصِفَاتِهِ أَنَّهُ لَوْ كَانَ مَعَهُ مِثْلٌ أَوْ مُؤَثِّرٌ لَاحْتَاجَ حِينَئِذٍ إِلَى مَنْ يُخَصِّصُهُ بِمَا يَمْتَازُ بِهِ عَمَّا يُمَاثِلُهُ عُمُوماً أَوْ خُصُوصاً، اتِّفَاقاً أَوِ اخْتِلَافاً، وَيَتَعَالَى عَنِ الاحْتِيَاجِ مَنْ هُوَ وَاحِدٌ فِي ذَاتِهِ وَصِفَاتِهِ وَأَفْعَالِهِ، المُنَزَّهُ عَنِ التَّرْكِيبِ مُطْلَقاً.

وَبِهَذَا تَعْرِفُ عُمُومَ تَعَلُّقِ قُدْرَتِهِ وَإِرَادَتِهِ بِجَمِيعِ المُمْكِنَاتِ، وَعُمُومَ تَعَلُّقِ عِلْمِهِ وَكَلَامِهِ بِجَمِيعِ الوَاجِبَاتِ وَالجَائِزَاتِ وَالمُسْتَحِيلَاتِ، وَعُمُومَ تَعَلُّقِ سَمْعِهِ وَبَصَرِهِ بِجَمِيعِ المَوْجُودَاتِ، وَأَنَّ جَمِيعَ العَالَمِ لَا يُؤَثِّرُ فِي شَيْءٍ عَلَى القَطْعِ، وَأَنَّ اللهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ بِمَحْضِ فَضْلِهِ وَعَدْلِهِ، لَا يَجِبُ عَلَيْهِ مُرَاعَاةُ صَلَاحٍ وَلَا غَرَضٍ وَلَا غَيْرِهِمَا، وَجَعَلَ بَعْضَ أَفْعَالِهِ أَمَارَةً يَخْلُقُ عِنْدَهَا مَا أَرَادَ، تَعَالَى وَاجِبُ الوُجُودِ أَزَلًا وَأَبَداً

عَلَى مَنْ يُخَصِّصُهُ أَوْ يُشَارِكُهُ فِي أَثَرٍ مَا جُمْلَةً وَتَفْصِيلًا.

هَذِهِ العَقَائِدُ ـ الَّتِي هِيَ الوُجُودُ، وَالقُدْرَةُ، وَالإِرَادَةُ، وَالعِلْمُ، وَالحَيَاةُ، وَالسَّمْعُ، وَالبَصَرُ، وَالكَلَامُ، وَكَوْنُهُ تَعَالَى قَادِراً، مُرِيداً، عَالِماً، حَيّاً، سَمِيعاً، بَصِيراً، مُتَكَلِّماً، وَكَوْنُهُ قَدِيماً، بَاقِياً، مُخَالِفاً لِلْحَوَادِثِ، قَائِماً بِنَفْسِهِ، وَاحِداً فِي ذَاتِهِ وَصِفَاتِهِ وَأَفْعَالِهِ ـ كُلُّهَا وَاجِبَةٌ لِلَّهِ تَعَالَى، لَا يُتَصَوَّرُ فِي العَقْلِ عَدَمُهَا.

وَأَضْدَادُهَا ـ وَهِيَ العَدَمُ، وَالعَجْزُ، وَالكَرَاهَةُ، وَالجَهْلُ، وَالمَوْتُ، وَالصَّمَمُ، وَالعَمَى، وَالبَكَمُ، وَكَوْنُهُ عَاجِزاً، كَارِهاً، جَاهِلًا، مَيِّتاً، أَصَمَّ، أَعْمَى، أَبْكَمَ، وَالحُدُوثُ، وَطُرُوُّ العَدَمِ، وَالمُمَاثَلَةُ لِلْحَوَادِثِ، وَالافْتِقَارُ إِلَى المَحَلِّ وَالفَاعِلِ، وَالشَّرِيكُ فِي الذَّاتِ وَالصِّفَاتِ وَالأَفْعَالِ ـ كُلُّهَا مُسْتَحِيلَةٌ لَا يُتَصَوَّرُ فِي العَقْلِ وُجُودُهَا.

وَالجَائِزُ فِي حَقِّهِ تَعَالَى: فِعْلُ كُلِّ مُمْكِنٍ أَوْ تَرْكُهُ لِذَاتِهِ؛ إِذْ لَوْ وَجَبَ عَلَيْهِ تَعَالَى شَيْءٌ مِنْهَا عَقْلًا أَوِ اسْتَحَالَ عَقْلًا لَانْقَلَبَ



الجَائِزُ مُسْتَحِيلًا أَوْ وَاجِباً، وَقَلْبُ الشَّيْءِ عَنْ حَقِيقَتِهِ مُسْتَحِيلٌ، وَالمُسْتَحِيلُ مُسْتَمِرُّ العَدَمِ لَا يُتَصَوَّرُ فِي العَقْلِ وُجُودُهُ.

وَالَّذِي يَجِبُ فِي حَقِّ الرُّسُلِ ـ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ـ اتِّصَافُهُمْ بِالصِّدْقِ.

وَدَلِيلُهُ: المُعْجِزَةُ النَّازِلَةُ مَنْزِلَةَ قَوْلِهِ تَعَالَى: «صَدَقَ عَبْدِي فِي كُلِّ مَا يُبَلِّغُ عَنِّي».

فَوَاجِبٌ تَصْدِيقُهُ ﷺ فِي كُلِّ مَا جَاءَ بِهِ عَنِ اللهِ تَعَالَى جُمْلَةً وَتفْصِيلًا، كَسُؤَالِ المَلَكَيْنِ، وَعَذَابِ القَبْرِ، وَالبَعْثِ لِعَيْنِ هَذَا البَدَنِ إِجْمَاعاً، وَالحَشْرِ، وَأَخْذِ الكُتُبِ، وَالحَوْضِ، وَالمِيزَانِ، وَالصِّرَاطِ، وَالجَنَّةِ، وَالنَّارِ، وَرُؤْيَةِ المُؤْمِنِينَ اللَه، وَبِالجُمْلَةِ فَالإِيمَانِ بِمَا جَاءُوا بِهِ وَاجِبٌ.

وَالدَّلِيلُ عَلَى اتِّصَافِ الرُّسُلِ ـ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ـ بِالأَمَانَةِ وَالتَّبْلِيغِ أَنَّهُمْ لَوْ خَانُوا أَوْ كَتَمُوا لَكَانَتِ الخِيَانَةُ وَالكِتْمَانُ طَاعَةً، وَهُمَا مِنْ أَعْظَمِ الكَبَائِرِ وَالفَوَاحِشِ، كَيْفَ

وَقَدْ أَمَرَ بِالاقْتِدَاءِ بِهِمْ؛ ﴿قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ﴾ [الأعراف: ٢٨]، فَهُمْ مَعْصُومُونَ مِنَ الصَّغَائِرِ وَالكَبَائِرِ إِجْمَاعاً.

فَالصِّدْقُ وَالأَمَانَةُ وَالتَّبْلِيغُ وَاجِبٌ فِي حَقِّهِمْ، لَا يُتَصَوَّرُ فِي العَقْلِ عَدَمُهُ، وَالكَذِبُ وَالخِيَانَةُ وَالكِتْمَانُ مُسْتَحِيلٌ فِي حَقِّهِمْ، لَا يُتَصَوَّرُ فِي العَقْلِ وُجُودُهُ.

وَالجَائِزُ فِي حَقِّهِمْ مَا هُوَ مِنَ الأَعْرَاضِ البَشَرِيَّةِ، كَالمَرَضِ وَنَحْوِهِ، **دَلِيلُهُ** مُشَاهَدَةُ وُقُوعِهَا بِهِمْ، إِمَّا لِتَعْظِيمِ أَجْرِهِمْ، أَوْ لِلتَّشْرِيعِ، أَوْ لِلتَّصَبُّرِ، وَلَا تَنَالُ بَاطِنَهُمْ.

وَأَفْعَالُهُمْ كُلُّهَا دَائِرَةٌ بَيْنَ الوَاجِبِ وَالمَنْدُوبِ، وَالمُبَاحُ لَا يَقَعُ مِنْهُمْ إِلَّا عَلَى جِهَةٍ تُصَيِّرُهُ مَنْدُوباً، وَالمُحَرَّمُ وَالمَكْرُوهُ لَا يَقَعُ مِنْهُمْ؛ لِعِصْمَتِهِمْ، وَلِلاقْتِدَاءِ بِهِمْ فِي أَقْوَالِهِمْ وَأَفْعَالِهِمْ وَسُكُونِهِمْ وَجَمِيعِ أَحْوَالِهِمْ، وَكُلُّ مَا أَوْهَمَ فِي حَقِّهِمْ أَوْ فِي حَقِّ المَلَائِكَةِ نَقْصاً مِنَ الكِتَابِ وَالسُّنَّةِ يَجِبُ تَأْوِيلُهُ، وَإِنَّهُ مُسْتَحِيلُ الظَّاهِرِ قَطْعاً، كَمَا فِي حَقِّ اللهِ تَعَالَى.

وَأَفْضَلُهُمْ سَيِّدُنَا وَنَبِيُّنَا وَمَوْلَانَا مُحَمَّدٌ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَآلِهِ وَأَزْوَاجِهِ أُمَّهَاتِ المؤْمِنِينَ وَأَصْحَابِهِ الطَّيِّبِينَ الطَّاهِرِينَ، صَلَاةً عَدَدَ مَا فِي عِلْمِ اللهِ وَعَدَدَ مَا كَانَ وَمَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ العَلِيِّ العَظِيمِ.

تمت